

بلاغة القصة القرآنية

(قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ أنموذجاً)

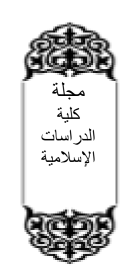
دكتور

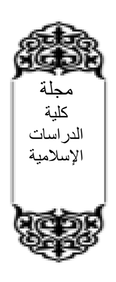
سميرة بنت محمد جالية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
كلية الآداب – قسم الدراسات الإسلامية

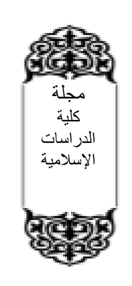
١٤٣٨هـ /٢٠١٧م




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الذي أعجز أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة بالقرآن، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله على مر الدهور والأزمان، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:

فلما كانت القصة القرآنية تحتل مكانة مرموقة في القرآن الكريم؛ فهي من أهم الأساليب الدعوية لحمل الرسالة الخالدة إلى الإنسانية، وقد ذكر ربنا – جل وعلا – القصة بما يحقق العبرة والفائدة، وعرضها بطريقة مؤثرة – لما فيها من الفنون البلاغية –؛ فهي تشكل صورة متكاملة من النظم، تكشف بيسر وسهولة عن علوِّ البلاغة القرآنية، واقتدارها على تصريف الأحداث والمشاهد وامتلاك زمامها وتحريكها حسب مقتضيات الأحوال والمقامات، ونقل التجارب الإنسانية وما يتخللها من مواقف نفسية وشعورية تجعل القارئ يعيشها بإحساسه ووجدانه، ويتأثر بها وينتفع بما فيها من عبر وعظات.

لهذا كله آثرت أن تكون مجال بحثي هذا، حيث جعلت قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ محوراً لاستنباط وجوه البلاغة القرآنية من خلال القصة.

وسوف تكون خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره.

التمهيد ويشتمل على:

- مفهوم البلاغة.
- مفهوم القصة القرآنية.
- التعريف بسيدنا سليمان – عليه السلام –.

المبحث الأول: موقف سيدنا سليمان – عليه السلام – مع الهدهد.

المبحث الثاني: تلقي ملكة سبأ كتاب سليمان – عليه السلام – واستشارتها للقوم.

المبحث الثالث: رفض سليمان – عليه السلام – لهدية ملكة سبأ.

المبحث الرابع: طلب سليمان – عليه السلام – إحضار عرش بلقيس.

المبحث الخامس: حضور الملكة وإعلان إسلامها.

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأله العون والتوفيق والسداد.

التمهيد

مفهوم البلاغة:

البلاغة في لغة العرب: تنبئ عن الوصول والانتهاء، جاء في «لسان العرب»: «بَلَغَ الشيء يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغاً وبلَّغَه تبليغاً... ورجل بليغٌ وبَلْغٌ وبِلْغ: حسن الكلام فصيحُه، يُبَلِّغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بُلَغَاء»(١).

و(البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغتها غيرى. ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة فى الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه)(٢).

والبلاغة في الاصطلاح: (البلاغة في المتكلم: ملكة يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ؛ كلامًا كان، أو متكلمًا، فصيح؛ لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة، وليس كل فصيح بليغًا، البلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضى الحال. والمراد بالحال: الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته، أي فصاحة الكلام)(٣).

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ (٨/٤٢٠).

(٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ (ص٦).

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص٤٦)، وينظر أيضاً: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة (١/٧٠).



مفهوم القصة القرآنية:

القصة لغة: الْخَبَر، وَهُوَ الْقَصَص، وقص علي خبره يقصه قصاً، وقصصاً: أوردهُ، والقصص: الْخَبَر المقصوص، وتقصص كَلَامه: حفظه، وتقصص الْخَبَر: تتبعه، وقص آثَارهم يقصها قصا، وقصصا، وتقصصها: تتبعها بِاللَّيْلِ. وَقيل: هُوَ تتبع الْأَثر أَي وَقت كَانَ؛ قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف: ٦٤]، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه، وكذلك اقتص أثره وتقصص، ويقصان: الأثر أي يتبعانه[١].



القصة القرآنية اصطلاحًا:

لفظ القصص أو القصّ أنسب لفظ مطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن، إذ أن ذلك أشبه بقصّ أثر الشيء وتتبعه، ثم الوقوف عليه بذاته لا على صورته أو ما يشبه صورته[٢].

والقصة في القرآن: واسطة بيانية تبليغية لناموس سماوي، غايته تجذير العقيدة، وتوطيد نظام حياة متكامل للإنسانية، وتغيير ما بالنفوس من جهالة وشرك وعبودية لغير الله، نزعت منزعًا واقعيًا، فصدرت في الأغلب من مرجعيات تاريخية، ارتبطت بسير الأنبياء والرسل في أزمنة غابرة، وبأخبارهم وصراعاتهم من أجل رسالات الله[٣].

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م (١٠١/٦)، ولسان العرب (٧٥/٧).

(٢) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م (ص٥٢).

(٣) ينظر: الخطاب القرآني، سليمان عشراني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الجزائر، ١٩٩٨ م (ص٦٧).



التعريف بسيدنا سليمان – عليه السلام – :

ورد ذكر قصّة سليمان – عليه السّلام – في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، في سبع سور، وسليمان – عليه السّلام – من أنبياء بني إسرائيل، أعطاه الله من خيرَي الدنيا والآخرة.

سيّدنا سليمان هو سليمان بن داود – عليهما السلام –؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ **[الأنعام: ٨٤].**

وقال جل وعلا: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ **[ص: ٣٠ – ٤٠].**

أرسل الله داود وسليمان – عليهما السلام – لبني إسرائيل، وتولّى سليمان الملك بعد وفاة والده الّذي كان عادلاً مع شعبه رحيماً بهم، ويحكم بينهم بما أمره الله، وتابع سليمان – عليه السلام – الحكم على نهج والده، فكان ملكاً ونبيّاً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النمل: ١٦].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : (وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة. ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم)[١].

قال القرطبي- رحمه الله -: (كان لداود ﷺ تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه، ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء)[٢].

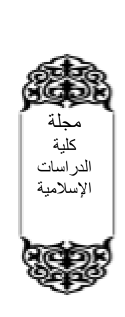
وقد خصّه الله تعالى بأشياء قصّها علينا القرآن الكريم، منها:

*** أنه أوتي العلم والفهم والحكمة؛ قال تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].**

(١) تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م (١٨٢/١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٦٤/١٣).





*** وأنّ الله تعالى علمه منطق الطير ومَلَّكه على الإنس والجنّ وباقي المخلوقات، كما سخر الله له الريح، كما أن له المكانة العالية عند ربه جل وعلا؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢-١٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٣٦ – ٤٠].**

*** وقال جل وعلا: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، فقوله تعالى: ﴿يُوزَعُونَ﴾ دليل على أن سليمان – عليه السلام – قد قسَّم المهام والوظائف على جنوده، فكلٌّ له غايته، وكل له وظيفته الموكل بها، ولا شك أن هذا مؤشر على علو همة سليمان – عليه السلام – [1].**

وفي هذه الآية إشارة إلى النظام الذي وضعه سليمان – عليه السلام – لحركة الجند؛ قال الزمخشري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية:

(١) القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ، للباحث : زكريا على محمود الخضر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، العدد ١ / ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م (ص٩٥).



(﴿يُوزَعُونَ﴾: يحبس أولهم على آخرهم، أي: توقف سلاف العسكر – أي: متقدموهم – حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة)(1).



* وكل هذه النعم جعلت سليمان – عليه السلام – دائم الشكر والذكر، والدعاء والاستغفار، كثير الصلاة والتعبد لله؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ففي هذه الآية طلب سليمان – عليه السلام – من ربه أن يلهمه ويوفقه لشكر النعم التي أنعم بها عليه، وعلى والديه، وأن يوفِّقه لكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه، وأن يُدخِله الجنة مع عباده الصالحين، وهي مطالب عالية، وأهداف سامية، تدل بكل وضوح على علو همة سليمان – عليه السلام – وقوة عزيمته.

قال الإمام فخر الدين الرازي – رحمه الله – : (ومعنى قوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ طلب الإعانة في الشكر وفي العمل الصالح، ثم قال: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فلما طلب في الدنيا الإعانة على الخيرات طلب أن يجعل في الآخرة من الصالحين، وقوله: ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾ يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق من

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ (٣٥٥/٣).



جانب العبد واعلم أن سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولاً، ثم طلب ثواب الآخرة ثانياً)[١].

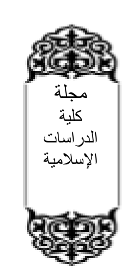
وهذا النداء ﴿أَوۡزِعۡنِیٓ﴾ أي: اجمع جوارحي ومشاعري، ولساني وجناني، وخواطري وخلجاتي، وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي، لتكون كلها في شكر نعمتك عليَّ وعلى والديَّ. وهذا التعبير يشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان - عليه السلام - في تلك اللحظة، ويصور نوع تأثره، وقوة توجهه، وارتعاشة وجدانه، وهو يستشعر فضل الله الجزيل، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه.

وقال جل وعلا أيضاً: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَیۡمَـٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥۤ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وهذا الوصف يستحق أن يمدح من أجله، وهو تحققه بالعبودية لربه تعالى.

يقول ابن عاشور - رحمه الله - : (وتعليق هذا الظرف بـ ﴿أَوَّابٌ﴾ تعليق تعليل؛ لأن الظروف يراد منها التعليل كثيراً، لظهور أن ليس المراد أنه أواب في هذه القصة فقط؛ لأن صيغة ﴿أَوَّابٌ﴾ تقتضي المبالغة، والأصل منها الكثرة، فتعين أن ذكر قصة من حوادث أوبته كان لأنها ينجلي فيها عظم أوبته)[٢].

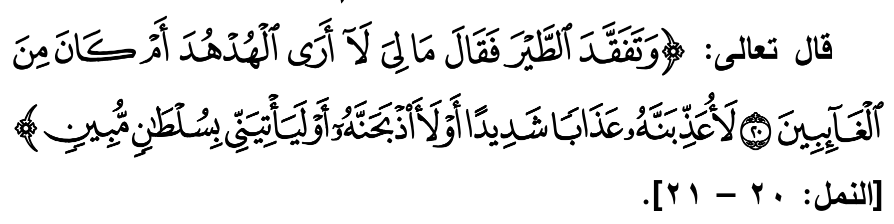
(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ (٥٤٩/٢٤).

(٢) التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر، تونس (٢٥٤/٢٣).


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الأول:

موقف سليمان - عليه السلام - مع الهدهد

قال تعالى: 
﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ **[النمل: ٢٠ – ٢١].**

تبدأ قصة سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ بقصته مع الهدهد، ويبدأ المشهد لسليمان – عليه السلام – وجنوده بتفقد الطير، بصيغة (التفعّل) الدالة على التكلف، لبيان مدى اهتمامه بأمور جنده، ومراقبتهم بنفسه، ومدى نباهته على ما يحصل في مملكته، والمعنى: تفقد الطير في جملة ما تفقده، فقال لمن يلون أمر الطير: ما لي لا أرى الهدهد[(١)].

قال العلامة السعدي – رحمه الله – : (﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟)[(٢)] وقال أيضاً: (والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٤٥/١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (ص٦٠٢).

ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟. فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل، ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته)[1].

وما فعله سليمان – عليه السلام – مع الهدهد قد يبدو في ظاهره قسوة وعنف، لكنه في حقيقته رحمة وعدل، والحزم كل الحزم في العدل والرحمة، وفي الرسم القرآني شاهد بياني على آثار تلك الرحمة فقد ورد رسم ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ بألف زائدة لتدل على التمهل والتفكر والاسترخاء قبل اتخاذ قرار ذبح الهدهد، والذي يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أنه لن يذبحه إلا بعد تفكير وروية فلربما جاء بسلطان مبين يبرر غيابه، وهذا ما حدث بالفعل.

فسليمان – عليه السلام – ليس ملكاً جباراً في الأرض يفعل ما يشاء دون ضوابط شرعية، وقيم أخلاقية، كما يفعل كثير من ملوك وزعماء الدنيا، إنما هو نبي كريم، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاءً نهائياً قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي في الملك العادل: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه.

(١) المرجع السابق (ص ٦٠٢).

وتفقُّد الجند من واجبات ولاة الأمور، كما أن من واجباتهم تفقد أحوال الرعية، وتفقد العمال ونحوهم، ويؤخذ من قول سليمان – عليه السلام – للهدهد: جواز عقاب الجندي إذا خالف ما عين له من عمل أو تغيب عنه[1].

وفي تفقد سليمان – عليه السلام – لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والرحمة والحزم؛ فهو لم يَغفل عن غَيبة جندي من هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير، ويعلم الجميع من سؤال سليمان – عليه السلام – عن الهدهد أنه غائب بغير إذن، وحينئذٍ يتعيَّن أن يأخذ الأمر بالحزم؛ كي لا تكون الأمور فوضى، فهو يضرب على أيدي المارقين؛ ليستقيم الأمر، وتستوي شؤون الحياة، ويتجلى هذا بتوعد سليمان – عليه السلام – للهدهد حين لم يره بين جماعته من الطير.

وفي هذا منهج تربوي لكل ولي أمر، ومن ذلك ولاية الوالدين على أبنائهم، فعلى الوالد ألا يتهاون في تفقُّد أولاده وتعهدهم بالرعاية والمتابعة، فليست أشغاله ومسؤولياته بأعظم من أشغال سليمان – عليه السلام – ومسؤولياته، ولا أولاده بأكثر من جند سليمان – عليه السلام – ، وقد صح في الحديث عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٤٦/١٩).

راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١).

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، قال ابن كثير – رحمه الله – : (﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: غاب زماناً يسيراً، ثم جاء فقال لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبر صدق حق يقين. وسبأ: هم: حمير، وهم ملوك اليمن)(٢).

وفي قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: فاء التعقيب تؤذن بسرعة الحضور، وعبر عن إتقان العلم بالشيء بالإحاطة على سبيل (الاستعارة التصريحية التبعية) بجامع الإلمام والاستحواذ في كل منهما وذلك

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٤) (١٥٠/٣) كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، ومسلم (١٨٢٩) (١٤٥٩/٣) كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم؛ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تفسير ابن كثير (١٨٦/٦).

لاستمالة سليمان عليه السلام لتصديقه، فضلاً عما حققه (طباق السلب) بين ﴿أَحَطتُ﴾ و ﴿بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ من الإثارة الكامنة في تلك المفاجأة التي لم تكن تخطر لسليمان ببال، مفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمن إصغاء الملك له، فأي ملك لا يسمع وأحد رعاياه يقول: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾، فأدى المحسن البديعي دوره البياني في البناء القصصي على أتم وجه، فكما أنه شد سليمان حتى أخلص نفسه للموقف، وأصاخ سمعه لقول الهدهد، كذلك شد متلقي البيان القرآني، فلا يستطيع أي حدث خارجي أن يشده بعيداً عن مواقف القصة وأحداثها.

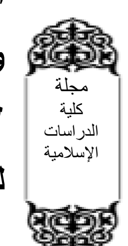
وهذا الموقف يعطينا درساً: أن الإنسان مهما بلغ من العلم فإنه لا يحيط بكل شيء، ولو كان نبياً مثل سليمان، وكيف أن طائراً أعجم أحاط بعلم ما لم يحط به النبي ﷺ.

وهنا أيضاً لفتة تربوية عظيمة وهي: أن على القائد ألاَّ يستهين بأقل جنده شأناً، فقد يأتي بخبر أو فكرة لها أثر كبير على الأمة.

وقد جاء الهدهد بدليل قوي فأذهب عنه العذاب؛ حيث جاء بخبر سبأ، وملكة اليمن؛ قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦﴾ **[النمل: ٢٣ – ٢٦].**

استئناف بياني لسؤال يقتضيه السياق عن ذلك النبأ العظيم، لتقريره على سبيل (التفصيل بعد الإجمال) وإيثار الفعل (وجدت) على (علمت) أو





(رأيت) للإيذان بكونه إنما كان في غيبته بصدد خدمة سليمان عليه السلام، بإبراز نفسه في معرض من يتفقد المملكة، ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان – عليه السلام –، ولتأكيد حقيقة الخبر؛ لأن (وجدت) تعني العلم بجميع الحواس، بالرؤية والسماع والمعاينة، ليتأكد لسليمان أن ما جاء به هو عين الحقيقة لا يحتمل الشك(١).

وتأكيد الخبر بـ (إن) للاهتمام بمضمونه، إذا لم يكن معهوداً في بني إسرائيل أن تكون المرأة ملكا، لذلك جيء بـ (امرأة) في سياق التعجب من جنسها لوقوعها موقع ابتداء بالنكرة، إذ إن المرأة حكاية أمر عجيب من نوعه بأن تملكهم المرأة(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾، قال الحسن البصري: وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن، ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ التعبير كناية عن عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب القوة والمتاع من ذخيرة وعدد وعدة، وبناء الفعل ﴿أوتيت﴾ للمجهول للتركيز على الحدث والاهتمام به وللإشارة إلى عظم

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت (٢٨١/٦)،

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٢/١٩).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١٨٦/٦، ١٨٧).



ملكها بوراثة السلطة والمال مع ما وهبها الله تعالى من العقل والحكمة التي سخرتها للكسب والإقناع والقيام بأمور المملكة[1].

ولما أخبر عن عظمة مُلْكِها وهوله عطف عليه آية ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ **على سبيل (التخصيص بعد التعميم)، وخص العرش بالذكر لأنه من أوضح أمارات ملكها، وأنه فريد من نوعه في عظمتة وفخامته بين عروش الملوك، قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (في هذا الموضع العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة)[2].**

ومعنى ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ **أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى[3].**

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

قال العلامة السعدي – رحمه الله – : (﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ **أي: هم مشركون يعبدون الشمس،** ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٢/١٩، ٢٥٣).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م (٣٩/١٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٠٤).



﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ فرأوا ما عليه هو الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته)[1].

فهذا استئناف آخر – من الهدهد – على سبيل الاستطراد، لتأكيد المراد والتنصيص على خطورة الأمر وأهمية الخبر، واستثارة مكامن الإيمان عند سليمان – عليه السلام – وإشعاره بما عليه من واجب الدعوة إلى عبادة الله تعالى، ببيان ما وجد عليه القوم من الكفر، ولذلك كرر الفعل ﴿وَجَدتُّهَا﴾ لبيان مدى إنكاره لفعلهم، وتعجبه من صنيعهم، واهتمامه بما يهم سيده.

لقد قال الهدهد ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فهم بدل أن يعبدوا الخالق الذي أعطاهم كل شيء، عبدوا الشمس من دون الله ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هل أراد الهدهد بهذا تأكيد الكلام السابق، وأنه أراد بأعمالهم عبادتهم للشمس، أو أراد أنهم كانوا مغمورين في الفسق والفجور؟ كل ذلك محتمل، ولعل الأقرب إرادة المعنى الثاني، فإنّ الغالب في الكفار تفشّي المنكرات والآثام والإجرام فيهم.

وكيفما كان، فقد أتم الهدهد كلامه قائلاً: ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ أي: الشيطان ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الواضح، الذي هو طريق الله سبحانه ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق في العقيدة والعمل.

قال بعدها: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ أي: الملكة وقومها ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إن الله سبحانه هو الذي أخرج

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٠٤).





النعم المخفية الموجودة في السماوات والأرض، قال ابن عباس: يعلم كل خبيئة في السماء والأرض. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغير واحد، وقال سعيد بن المسيب: الخبء: الماء. وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: خبء السموات والأرض: ما جعل فيها من الأرزاق: المطر من السماء، والنبات من الأرض(١).

والقول بالعموم أولى، فهو شامل للمطر والنبات وغيرهما مما هو مخبأ في السموات والأرض، كما هو قول ابن عباس وغيره، فالله جل وعلا مخرج ما شاء من خبء السماء والأرض من مطر وكنوز وثمار وغيرها، لينتفع بها البشر وسائر الخلق .. ومع هذا فالملكة وقومها لم يكونوا يسجدون لهذا الإله العظيم، (و) هو الذي يعلم ﴿مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، وهذا كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠﴾ [الرعد: ١٠].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ فالله هو الرب الملك (العظيم) وعرشه أعظم من كل عروش الدنيا، بل لا يقارن بها ولا تخطر عظمته وكنهه على بال أصلاً، قال الإمام البغوي – رحمه الله – : (أي: هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره، وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيما فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل)(٢).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١٨٧/٦).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٥٠٠/٣).

هكذا أخبر الهدهد سليمان – عليه السلام – معتذراً من غيبته.

هدهد عجيب، صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء ذكي، فهو قد أدرك أن تلك المرأة التي اطلع على أحوالها هي (ملكة سبأ) وأن أولئك الناس في أرضها هم رعيتها، وأن الملكة قد أوتيت من كل شيء، بحسب ملك وإمكانات تلك الأيام، ولها عرش عظيم – أي: سرير ملك فخم ضخم، يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة – وأدرك أنهم يسجدون للشمس والقمر من دون الله، فهو عنده علم بمعنى الإيمان بالله، ومن ثم فهو يعلم أن السجود لا يكون إلا لله، كما أنه كان يعلم من صفات الله وقدرته وعظمته، أنه الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم.

وبعد أن قال الهدهد ما قال، وفي هذا الموقف بعد تلقي هذا الكلام المهيب، تتجلى شخصية سليمان – عليه السلام – الجادة في تحري الصواب، في تثبت وتروٍّ، للتأكد من صدق الهدهد فيما أنبأ به عن الملكة، شأن الأنبياء في العدل والحزم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ **[النمل: ٢٧ – ٢٨].**

فهذا القول يجعلنا على صلة مستمرة بشخصية سليمان الفطن العاقل العالم، فهو ليس بالمتسرع في إصدار الأحكام، ولا هو بالذي تستخفه الأنباء، فتفقده صوابه، بل إننا لنجد في أوامره للهدهد توقعات موجزة توحي بسمات الشخصية في أربعة أوامر محددة دون لبس أو غموض.

فالسين في ﴿سَنَنظُرُ﴾ **للمستقبل القريب دلالة على اهتمامه بالشأن، و{ننظر} من نظر التأمل والتصفح** ﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ

ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فقدم الصدق لتلمس ما يدرأ به العقوبة عنه أولاً، من باب إحسان الظن، والاستفهام للتصور؛ لأن الهدهد أخبر سليمان بخبر الملكة وقومها بأنهم ﴿يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فغاظه حينئذ ما سمع، وطلب الانتهاء إلى ما أخبره، لتحصيل علم ما غاب عنه.

ولاسيما أن الكلام جاء على سبيل (الطباق المعنوي) بين ﴿أَصَدَقۡتَ﴾ ﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ والمطابقة في المعنى بهذا النظم المعجز أبلغ من اللفظ، لما في النظم من العدول إلى المعنى الأبلغ مما يحصل في ظاهر اللفظ، كون المحسن البديعي جاء تابعا للمعنى وليس العكس، ازداد المعنى به حسنا إلى حسنه، وهذا أعلى مراتب البيان، وأسمى درجات البلاغة[1].

قال الإمام الألوسي – رحمه الله – : (وكان مقتضى الظاهر أم كذبت وإيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة مع ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم تخشى سطوته لا يكاد يصدر إلا عمن رسخت قدمه في الكذب والإفك وصار سجية له حتى لا يملك نفسه عنه في أي موطن كان، وزعم بعضهم أن ذاك لمراعاة الفاصلة وليس بشيء أصلاً)[2].

---

(١) ينظر : صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٣٧٧/٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي (١٨٨/١٠).

إن مراعاة الفاصلة من روعة النظم وعذوبته، وحين يجتمع دلالة المعنى وفصاحة اللفظ، وحسن الأسلوب مع روعة النظم وعذوبته، فنحن أمام أرقى وأعلى درجات البلاغة، وذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن[1].

وفي هذا دليل على أنَّ الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيَّته، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم، وقد قبل عمر ﷺ عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه، ولكن للإمام أن يمتحن ذلك إذا تعلَّق به حكم من أحكام الشريعة كما فعل سليمان – عليه السلام – مع الهدهد حيث تبيَّن له بعد ذلك صدق ما جاء به وبراءته من الكذب[2].

﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ أي: فألق الكتاب إليهم ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه، ليكون ما يقولون بمسمع منك، فانظر ماذا يرجع بعضهم إلى بعض القول، وإنما جمع في (إليهم) دون أن يخص الملكة؛ لأنه أخبر بأنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فعمهم بالإلقاء اهتماماً بأمر الدين واشتغالاً به[3].

والتعبير بـ (ألقه إليهم) دون: ناولهم أو أعطهم؛ لأن الأليق بالنسبة للطير أنها تلقي من الأعلى، وكذلك قال (إليهم) دون (عليهم) الذي يدل على الشدة والثقل، لما في التعبير القرآني من الحسن في التعامل والرفق في التبليغ، والإكرام للكتاب وما يحتويه فإنه ليس فيه ما يثقل كواهلهم

(١) ينظر: المرأة في القصص القرآني، الدكتور أحمد الشرقاوي، دار السلام، الطبعة الثالثة، ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ (٥١٢/٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٨٩/١٣)

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣٦٣/٣). هل سبق ذكر معلومات الكتاب ؟؟

ويزعجهم في عاقبة المآل، بل في سعادتهم وإكرامهم بدعوتهم إلى دين الله تعالى، فجاء التعبير القرآني غاية في البيان وآية في الآداب(١).

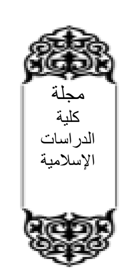
وفي حذف مد صلة الهاء وإسكانها في ﴿فَأَلْقِهْ﴾وهي قراءة حفص عن عاصم(٢)، ما يدل على أن القوم مع جمعهم فإنهم لا شأن لهم أمام دعوة الحق، وفيه إيذان بسرعة الامتثال بإلقاء الكتاب اهتمامًا بالشأن.

ويتجلى الإحكام البديع في سبك الآية الكريمة، وإيجازها المشبع بالمعاني والصور، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ بتلك الصورة الحسنة المتحركة التي تحمل معها دقة في الخفة والسرعة، ثم يأمر الهدهد بأن يتوارى لينظر ماذا يكون الجواب، بهذا الإيجاز الذي أحكمته عبارات قصيرة متينة في سبكها ووصفها، تصف عملاً يحتاج إلى حلقات طويلة من القصة، وفي التعقيب ﴿فَٱنظُرْ﴾ ما يدل على التعقيب السريع، لأن التولي ليس غاية في ذاته، بل لينظر ماذا يكون موقفهم من الكتاب.

---

(١) ينظر: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان مع ملكة سبأ، فايز صالح الخطيب، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، المجلد (١٦) العدد (١) ،٢٠٠١م (ص ٦٣-٦٤).

(٢)كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ (ص٤٨١).



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



المبحث الثاني:

تلقي ملكة سبأ كتاب سليمان - عليه السلام - واستشارتها للقوم

قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٨ – ٣١].

يبدأ المشهد بالاستئناف البياني المعهود في المحاورات تاركاً وراءه فجوة يقتضيها سياق القصة ليتأملها القارئ بخياله، وليربط به صدور الأمر من سليمان – عليه السلام – إلى الهدهد بالذهاب بالكتاب وإلقائه إلى الملكة وقومها ومعرفة الجواب عليه، فذهب وألقاه وأخذته وقرأته وجمعت قومها. وهذا الطي في المشهد تحقق بإيجاز الحذف لكل تلك الجمل، ليشكل هذا الفن البلاغي أحد العناصر الفنية في عرض القصة القرآنية، وذلك باختزال ما يمكن الاستغناء عن التصريح بذكره، وإنَّما طُوِي ذكرُه إيذاناً بكمالِ مسارعتِه إلى إقامةِ ما أُمر بهِ من الخدمة وإشعاراً باستغنائه عن التَّصريحِ به لغايةِ ظهورِه[1].

افتتاح الكلام بالنداء مع تقديم المنادى (بأل) الاستغراقية في قول الملكة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ للإيذان بأهمية الخبر ولفت انتباه الملأ وهم أشراف قومها من ذوي المشورة والرأي، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قبل لهم به. وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة،

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٢٨٣/٦).



فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قبل سليمان – عليه السلام –)[1].

ولما كان نداء العموم يؤذن بأهمية الأمر جاء الخبر مؤكداً بأن، واسمية الجملة ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ للاهتمام بمضمونه وبناء الفعل ﴿أُلۡقِيَ﴾ للمجهول؛ للتعجب من شأن الكتاب وطريقة إلقائه، لإفادة عدم علمهم بكيفية إلقائه، ومَن ألقاه، ولو كانت تعلم لأعلنت من قام بهذا الفعل العجيب الذي لم يقع من قبل، فالسياق هنا يسلط الاهتمام ويركزه على الحدث دون فاعله، لا لعدم أهميته ولكن لتنمية عنصر المفاجأة.

ووصفت الكتاب بأنه كريم، إما لحسن مضمونه وما فيه، وإما لأنه من عند ملِك كريم عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته إجلالاً لسليمان – عليه السلام –، وإما لأنه مطبوع عليه بالخاتم، فكرامة الكتاب ختمه، وقيل: لأنه بدأ فيه بالبسملة، وقيل: لأنه بدأ فيه بنفسه، ولا يفعل ذلك إلا العظماء، وقيل: لأنّ الرسول كان طيرا فعلمت أنّ من تكون الطير مسخّرة له لا بدّ أنه عظيم الشأن، وقيل: لما رأته من عجيب أمره، كون طائر أتى به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدبا، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، وقيل: وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً، ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق، على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل، ألا ترى إلى قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ

(١) تفسير ابن كثير (١٨٨/٦).

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله لموسى وهرون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] . قال الإمام القرطبي – رحمه الله – بعد أن أورد معظم الأوجه السابقة في تعليل وصفها للكتاب بأنه كريم: (وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها[١])[٢].

وكل الأقوال السابقة في وصف الكتاب بأنه كريم صحيحة ومعتبرة، والخلاف فيها خلاف تنوع وليس خلاف تضاد، فلا مانع أن يوصف الكتاب بأنه كريم لكل هذه الأوجه المذكورة.

وقال بعضهم: لاحترامها الكتاب رزقت الهداية حتى آمنت كالسحرة لما قدموا في قولهم : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ [الأعراف: ١١٥]، وراعوا الأدب رزقوا الايمان [٣].

وفي تقديم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ على ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تحوط لاحتمال أن يبدر منها ما لا يليق باسم الجلالة، لأنها كانت كافرة، فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى، أو أنه كان عنوانا في ظاهر الكتاب،

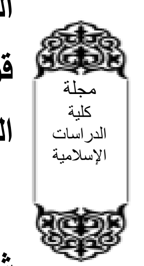
---

(١) يشير إلى آخرها وهو لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف والاستلطاف كما هي عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل.

(٢) تفسير القرطبي (١٩١/١٣، ١٩٢)، وينظر أيضاً: لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة (٣٥/٣)، وتفسير ابن كثير (١٨٨/٦).

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر، بيروت (٣٤٢/٦).





وباطنه فيه ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخره، واحتمل أن يكون مؤخرا في الكتابة عن بسم الله، وإن ابتدأ الكتاب باسم الله، وحين قرأته عليهم بعد قراءتها له في نفسها، قدمته في الحكاية، وإن لم يكن مقدما في الكتابة(١).

قال ابن عطية – رحمه الله – : (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استفتاح شريف بارع المعنى معبر عنه بكل لغة وفي كل شرع)(٢).

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كل كلام – أو: أمر – ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبتر – أو قال: أقطع –)(٣).

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل،
الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ (٢٣٤/٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ (٢٥٨/٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨٧١٢) (٣٢٩/١٤) ؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وابن ماجه (١٨٩٤) (٦١٠/١) كتاب النكاح، باب خطبة النكاح؛ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، وقال محققو المسند : >إسناده ضعيف<.



وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ جملة تفسيرية لبيان مضمون الكتاب لذلك جاءت مفصولة على سبيل الاستئناف، أي: لا تمتنعوا من الإجابة لي، والإذعان لأمري، كما يفعل الملوك، بل اتركوا علوكم، لكوني داعياً إلى الله ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي: منقادين خاضعين[١].

(وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته، حتى يكون استدعاء للتقليد، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة)[٢].

وقال الإمام فخر الدين الرازي – رحمه الله – : (الأنبياء عليهم السلام لا يطيلون بل يقتصرون على المقصود، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود، وذلك لأن المطلوب من الخلق، إما العلم أو العمل والعلم مقدم على العمل فقوله: بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وتعالى وإثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما.

وأما قوله: ألا تعلوا علي فهو نهي عن الانقياد لطاعة النفس والهوى والتكبر.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (١٥٨/١٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ (١٥٩/٤).

وأما قوله: وأتوني مسلمين فالمراد من المسلم إما المنقاد أو المؤمن، فثبت أن هذا الكتاب على وجازته يحوي كل ما لا بد منه في الدين والدنيا.

فإن قيل: النهي عن الاستعلاء والأمر بالانقياد قبل إقامة الدلالة على كونه رسولاً حقاً يدل على الاكتفاء بالتقليد، جوابه: معاذ الله أن يكون هناك تقليد، وذلك لأن رسول سليمان إلى بلقيس كان الهدهد، ورسالة الهدهد معجز، والمعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته، ويدل على صدق المدعي، فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة، لا جرم لم يذكر في الكتاب دليلاً آخر)[1].

وأسلوب النهي في ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ خارج إلى معنى التهديد، ولذلك أتبعته الملكة بما يدل على سرعة الاستجابة، كما قال تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ على سبيل الاستئناف البياني للإسراع بالإجابة على الكتاب، (والمعنى: يا أيها الأشراف أشيروا علي وبينوا لي الصواب في هذا الأمر، وأجيبوني بما يقتضيه الحزم، وعبرت عن المشورة بالفتوى، لكون في ذلك حل لما أشكل من الأمر عليها، وفي الكلام حذف، والتقدير: فلما قرأت بلقيس الكتاب، جمعت أشراف قومها وقالت لهم: يا أيها الملأ إني ألقي إلي، يا أيها الملأ أفتوني، وكرر قالت لمزيد العناية بما قالته لهم، ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب فقالت:

---

(١) تفسير الرازي (٢٤/٥٥٥).

ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي: ما كنت مبرمة أمراً من الأمور حتى تحضروا عندي، وتشيروا علي)(١).

طلبت بلقيس من قومها إبداء رأيهم وإسداء نصحهم في هذا الخطب الجليل والحدث المفاجئ، وبعد أن بلغت حاشيتها بمصدر الكتاب ومضمونه، استأنفت حديثها طالبة منهم المشورة وإبداء الرأي، وأنها ما تقطع أمراً من الأمور حتى تحضرهم وتستشيرهم وتشهدهم عليه، وفي هذا دليل على حسن سياستها، ورجاحة عقلها، وعدم استبدادها بالرأي مخاطرة بمصالح قومها، حيث جمعت رؤوس مملكتها، واستشارتهم في أمرها، وأعلمتهم أن هذه عادة مطردة عندها، وبذلك طابت نفوسهم، وزادت ثقتهم فيها.

وهذا كله يبرز شخصية الملكة ذات الرأي الثاقب والحنكة في تسيير الأمور، مظهرة الإنصاف من خلال المشورة لقومها.

وقد فهمت بلقيس من فحوى الرسالة أنه يدعوها إلى دينه، وانتقال المرء من دين إلى دين ليس أمراً سهلاً، فقد يؤدي إلى تمرد قومها عليها، كما حصل مع هرقل ملك الروم، بعد أن جاءه كتاب من الرسول ﷺ إذ إن قساوسته رفضوا الأمر جملة وتفصيلاً على الرغم أن هرقل كان موقناً أن

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١٥٨/٤).



محمداً ﷺ كان نبياً مرسلاً، وأنه الرسول المبشر به في الإنجيل، لأنه كان على علم بما ذكر في الإنجيل، ومع ذلك أطاع القساوسة[1].

قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ قالوا مجيبين لها: نحن أولوا قوة، في القتال، وأولوا بأس شديد، عند الحرب، قال مقاتل: أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة، وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا: والأمر إليك، أيتها الملكة في القتال وتركه، فانظري، من الرأي، ماذا تأمرين، تجدين لأمرك مطيعين[2].

فالملكة لما أظهرت لقومها ومستشاريها الاحترام والإجلال بهذا الأسلوب البديع، جاء الرد من قبلهم بالانقياد والطاعة، متضمن ميلهم – شأن رجال الحاشية إلى الحرب – في قوله ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أي: نحن ذو قوة على القتال والبأس الشديد في الحرب والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري ما ترين، فمرينا نأتمر لأمرك[3].

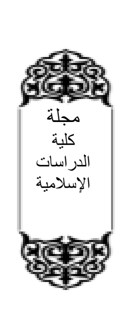
قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ إيجاز بليغ يصل إلى القلوب برغم قصر عبارته وتنوع دلالته، وما كان هذا الوصف البديع إلا لقوة العبارة وروعة النظم ومراعاة الفاصلة فمن خصائص الأسلوب

(١) ينظر: السيرة النبوية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م (٤٩٧/٣، ٤٩٨).

(٢) تفسير البغوي (٥٠٢/٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥٠/١٨).





القصصي القرآني حسن انتقاء الألفاظ ووضعها في موضعها وهو ما يسمى بإصابة المعنى مع إيراده بالنظم البليغ فهؤلاء القوم يظهرون مطلق الولاء للملكة لما في التعبير ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ من معنى القصر مع اتفاق الكلام وتمكن الفاصلة في ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ والأمر مجازي للتفويض. فلما علمت بلقيس من شأن إلقاء الكتاب بتلك الطريقة العجيبة، وما تضمنه من الكلام الغريب أنه أمر خارق للعادة وأنها تواجه ملكاً ليس كسائر الملوك، ولا عهد به من قبل، وهي الملكة ذات الحكمة والدهاء والرأي السديد، أعرضت عن ميول مستشاريها وطموحاتهم القتالية، غير آبهة ولا مغترة بقوتهم وبأسهم واستعدادهم للحرب، فحكَّمت عقلها وحسن تدبيرها، ومالت إلى الصلح، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ فأسرعت بإبداء رأيها بتفضيل جانب السلم، مع الحذر من الدخول تحت سلطة سليمان اختيارًا، فعلمت بقياس شواهد التاريخ، وبخبرة طبائع الملوك أنهم إذا تصرفوا في مملكة غيرهم، قلبوا نظامها إلى ما يساير مصالحهم، وأقصوا ملوكها، وأبدلوا نظمها، أما إذا دخلوها عنوة فلا يخلو الأخذ من تخريب وسبي ومغانم، وذلك أشد فسادًا، وقد اندرج الحالان في قولها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ وافتتاح الجملة بحرف التأكيد ﴿إِنَّ﴾ للاهتمام بالخبر وتأكيد قوة تحققه، وقولها: ﴿إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ استدلال بشواهد التاريخ الماضي، ولهذا تكون ﴿إِذَا﴾ ظرفاً للماضي بقرينة المقام[1].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/٢٦٥، ٢٦٦).

ثم إن الملكة مع هذا أَخَّرت الاستجابة لسليمان – عليه السلام – وطاعته حتى تختبره وتتكشف أحواله وتتدبرها، فتكون على بصيرة من أمرها فيما تقدم عليه وما تتخذه من قرار، وهذا من خلال إرسالها له بهدية ومراقبة تصرف سليمان – عليه السلام – حيالها، وهذا ما حكاه الله عنها بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾، وفي البداءة بـ (إن) تأكيد وإصرارٌ على رأيها، وتقرير له، على الرغم من مخالفة القوم، أي: سأبعث إليه بهدية تليق به، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا[1].

وهنا تبرز حكمة الملكة في طريقة التعامل مع سليمان – عليه السلام – بالتزلف والمصانعة بإرسال هدية إليه؛ لأن الهدية تلين القلب، وتعلن الود، فإن قبلها فهو إذاً أمر دنيا، تجدي معه الوسائل الدنيوية، وإن رفضها فهو إذاً أمر عقيدة، لا مساومة عليها بالمال، ولا بعرض من أعراض الدنيا.

(قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس.

وقال ابن عباس وغير واحد: قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه)[2].

ومع أن الملكة وقومها كانوا يعبدون الشمس والقمر من دون الله، إلا أننا ندرك من مضمون القصة، ومن موقف الملكة وحاشيتها، أنهم كانوا

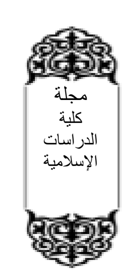
---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١٩٠/٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٩٠/٦).

يعلمون بوجود إلهٍ وربٍ أعظم من الشمس والقمر، وإلا لبدا من الملكة استغراب وربما استخفاف من محتوى الرسالة وما تدعو إليه، والذي يؤكد لي هذا التصور أن الجزيرة العربية وشمالها لم تخل من الأنبياء، ويكفي أن الكعبة التي أتم بناءها نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – ، قريبة من اليمن، وسليمان – عليه السلام – جاء بعد إبراهيم وإسماعيل وموسى – عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام – بزمن طويل.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



المبحث الثالث:

رفض سليمان - عليه السلام - لهدية ملكة سبأ

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٦ – ٣٧].

ينتقل هذا المشهد بالقصة إلى حيث مقام سليمان – عليه السلام – تاركاً وراءه تفاصيل ما دبرته من نوع الهدية، ومن يحملها، وما تخلل ذلك من أحداث ومواقف لم تقف عندها القصة القرآنية لعدم تعلق غرض ديني وفني بذكرها، فما أن وصل الرسول بالهدية ووضعها بين يدي سليمان – عليه السلام – حتى علم أن الملكة تساومه بالمال على حساب الدين والعقيدة، فقال مخاطباً الرسولَ والمرسِلَ ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ وفي هذا تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها، وتنكير (مال) لتحقير شأنه أمام ما تفضل الله تعالى عليه من النبوة والعلم والمال والسلطان، وسوق التعليل لذلك الإنكار وعطفه عليه بالفاء في (فما آتاني الله) يُشعر بأنه علم أن الملكة لا تعلم أن لديه من الأموال ما هو خير مما لديها، لأنه لو كان يظن ذلك لما احتاج إلى التفريع، وهذا من أسرار الفرق في الكلام البليغ بين العطف بالفاء والواو، والمعنى: أن ما عندي خير مما عندكم، وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه، فكيف يرضى مثلي بأن يمدّ بمال ويصانع به بَلْ أَنْتُمْ قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فلذلك تَفْرَحُونَ بما تزادون ويهدى إليكم، لأن



ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم، وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية[1].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إلي، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكنني منها وملكني فيها ما لم يملك أحداً، ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ وهذا قول سليمان لرسول المرأة ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها، ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم)[2].

وهذه الآية تبيّن لنا علو همة النبي سليمان – عليه السلام – في ثباته على عقيدته ومبدئه، وتصور هذه الآيات مدى القوة التي كان يتمتع بها ذلك الملك النبي – عليه السلام – حيث تزداد الغيرة عنده على دين الله الذي يراد له أن يباع ويشترى بعرَض من الحياة الدنيا، وهو ليس من الملوك الذين تغريهم الهدية، أو يثنيهم عن طلب المعالي مدح أو إطراء؛ لذا نراه عالي الهمة في رده لهذا الأمر؛ لأن مطلبه – عليه السلام – تحقيق الإيمان والدعوة إلى الحق، قال العلامة السعدي – رحمه الله –: (﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ فليست تقع عندي موقعاً، ولا

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/٣٦٦)، و تفسير أبي السعود (٦/٢٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١٨/٥٨).



أفرح بها، قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم، ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لحبكم للدنيا وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله)[1].

ويذكرنا هذا الموقف بما قاله رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته، عندما عرض عليه كفار قريش المال أو الملك، فقال رسول الله ﷺ : «يا عم، والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر- حتى يظهره الله أو أهلك فيه- ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قام، فلما ولى، ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله، لا أسلمك لشيء أبداً[2].

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم الدعاة المخلصون في كل زمان ومكان، لا يتزحزحون عن عقيدتهم مهما كانت الإغراءات أو التهديدات.

فلما علم سليمان أنهم يساومونه بعرض الدنيا أغاظه ذلك الفعل وغضب لدين الله، فجاء الرد حاسمًا بلغة التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، والخطاب على لسان سليمان - عليه السلام - موجه للرسول، وقيل: للهدهد وهو محمل كتابًا آخر، وجمع الضمير في ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إكراماً لنفسه،

---

(١) تفسير السعدي (ص٦٠٥).

(٢) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م (٢٦٦/١).



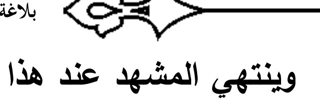
وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها، وتعميماً لكل من يهتم بأمرها ويطيعها، ﴿ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ كناية عن انتفاء طاقتهم وقدرتهم عن مواجهتهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي: من بلادهم، والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العزّ والملك، والصغار: أن يقعوا في أسر واستعباد، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً، ولما كان الذل قد يكون لمجرد الانقياد، لا على سبيل الهوان، حقق المراد بقوله: ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي: لا يملكون شيئاً من المنعة إن لم يقروا بالإسلام(١).

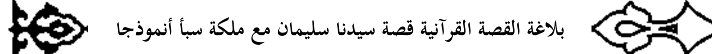
وتصدير فعلي الإتيان والإخراج باللام الواقعة في جواب القسم، وإدخال نون التأكيد الثقيلة للتأكيد على عزمه على الفعل والإسراع بإتيانهم إليه مسلمين طائعين تحت ملكه، وجمع القلة ﴿ أَذِلَّةً ﴾ تأكيد لقوة إصراره، وحقيقة قدرته عليهم؛ لأنهم قلة ذليلة أمام دعوة الحق وسلطان الملك وقهر الغلبة، وجملة ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي: أسارى مهانون، حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء، وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقاً بشرط قد حذف عند الحكاية، ثقة بدلالة الحال عليه، كأنه قيل: ارجع إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فلنأتينهم ... إلخ (٢).

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٣٦٦/٣، ٣٦٧)، ونظم الدرر، للبقاعي (١٦٣/١٤).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٢٨٦/٦).



وينتهي المشهد عند هذا التهديد والوعيد على لسان سليمان – عليه السلام – وما يكون من شأن الرسول وإخباره لبلقيس من عدم قبول الهدية والتهديد، وكيف يكون موقفها إما أن تعلن إسلامها أو يحاربها؟!.

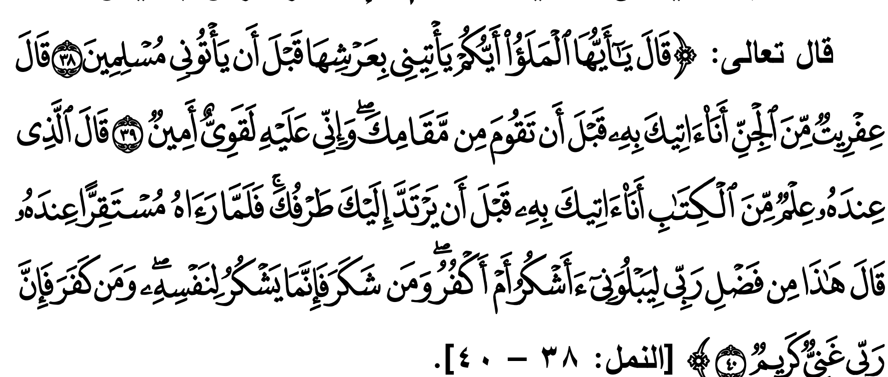





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الرابع:

طلب سليمان - عليه السلام - إحضار عرش بلقيس


قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾ [النمل: ٣٨ – ٤٠].

لما علم سليمان – عليه السلام – من تجاريه – وهو النبي الملك، والرجل الحازم– أن هذا الرد الشديد سينهي الأمر مع الملكة التي تتجنب الحرب، وأنها ستجيب دعوته على وجه التحقيق، أراد أن يأتي بعرشها قبل أن تصل إليه ليضمر لها المفاجأة بما يبهرها ويبرهن على صدق نبوته(١)، ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

قال الإمام الطبري – رحمه الله –: (السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح إغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك

(١) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، الناشر: دار الشروق، مصر، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (ص٢١٣).



أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته)[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾، العفريت، أي: رئيس من الجن مارد قوي، وجمعه عفاريت[2]، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ وسليمان – عليه السلام – إذ ذاك في الشام فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهاباً وشهران إياباً، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه، والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر[3].

وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي في ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾ يفيد التأكيد بإنجاز الوعد، ويقوي هذا المعنى زيادة التأكيد بـ (إن) واللام في قوله ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ وجاء إيثار صفة القوة والأمانة للإغراء بتكليفه خدمة لسليمان؛ لأن اجتماعهما يمثل أعلى مراتب الكفاءة.

قال العلامة أبو السعود – رحمه الله –: (﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ أي: بعرشها ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ﴾ أي: من مجلسك للحكومة، وكان يجلس إلى نصف النهار، و(آتيك) إما صيغة المضارع، أو الفاعل، وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة، وأوفق لما عطف عليه من الجملة

(١) تفسير الطبري (٦٥/١٨).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦٦/١٨).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٠٥).



الاسمية، أي: أنا آت به في تلك المدة البتة ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ أي: على الإتيان به ﴿لَقَوِيٌّ﴾ لا يثقل علي حمله ﴿أَمِينٌ﴾ لا أختزل منه شيئاً ولا أبدله)(١).

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

لما كان لكتاب الله تعالى من العظمة ما لا يحيطه إلا الله، أشار إلى ذلك بتنكير (علم) تنبيهاً على أنه اقتدر على ذلك بقوة العلم، لتعظيمه والحث على طلبه، وبين أن هذا الفضل إنما هو للعلم الشرعي فقال (من الكتاب) الكتاب الذي لا كتاب في الحقيقة غيره، فالتعريف أفاد (القصر) ولعله كان التوراة والزبور(٢).

وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا، وكان صدِّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى(٣).

ولا يهمنا هنا اسمه ولا من يكون ولكن الذي يهمنا العبرة بأن هذا الذي عنده علم من الكتاب ما هو إلا تابع للنبي سليمان ومسخر لقدراته ولحاجاته، ومع ذلك فقد أعطي من القدرة أكبر مما أعطي سليمان – عليه السلام – في هذا الاختصاص النادر في عالم البشر، كما أنه برهان

(١) تفسير أبي السعود (٦/٢٨٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/١٦٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/٧٤)، وتفسير البغوي (٣/٥٠٥)، والمحرر الوجيز (٤/٢٦١).

على سعة ما أعطي لسليمان، ولربما لم يكن لسليمان معرفة بالقدرة الخارقة هذه للذي عنده علم من الكتاب، كما أخبرنا الله في سورة الكهف فبي قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف: ٦٥ – ٦٦]، في هذه القصة المشابهة وهي قصة موسى – عليه السلام – مع الخضر، إذ أصبح موسى تلميذا عند الخضر، وكل ذلك من حكمة الله في خلقه، فقد يكون إنسان خامل الذكر عند الناس ولكنه عند الله عظيم المكانة.

وفي الآية إشادة بمكانة العلم، ومرتبة من أوتي علماً، وهذا الذي يسيطر على جو السورة، كونه السبيل الموصل إلى المعرفة، وأولى العلوم بالعناية والرعاية: العلوم الموصلة إلى التوحيد وإعلان العبودية لله.

وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ للتأكيد على إنجاز الوعد في الوقت الموصوف بـ ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، وعبر عن سرعة إحضار العرش بارتداد الطرف على سبيل التمثيل أو المثل؛ لأن المراد بارتداد الطرف هو التقاء الجفنين بعد افتراقهما، وذلك أبلغ ما يوصف به السرعة، وليس هناك على الحقيقة شيء ذهب عنه ثم رجع، لكن جفن العين لما كان ينفتح وينطبق أقام الانفتاح مقام الخروج والانطباق مقام الرجوع(١).

---

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القران، تأليف: الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: الدكتور علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان (ص٢١٩).

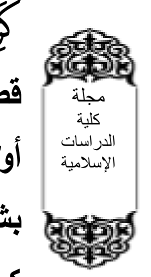
والذي يظهر أن نقل العرش بهذه السرعة كان أمراً خارقاً للعادة، لا يخضع لنواميس الكون، ولا يندرج تحت قوانين الطبيعة، لذلك فلا ينبغي البحث فيه وتحليله وتعليله بصورة علمية.

والعلم الحديث قد توصل إلى كثير من المكتشفات والاختراعات، مثل التطورات الهائلة في عالم الاتصالات، التي جعلت الكون كله كالقرية الصغيرة المحدودة، فإذا كان العلم الحديث قد توصل إلى ذلك بفضل الله وقدرته، فإن مجيء العرش بهذه الصورة العجيبة الخارقة للعادة مظهر من مظاهر قدرة الله عزوجل المطلقة، ونعمة من النعم التي أسبغها المولى على نبيه سليمان عليه السلام.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾. قال الإمام القرطبي – رحمه الله – : (قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: ثابتاً عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ أي: هذا النصر والتمكين من فضل ربي ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ قال الأخفش: المعنى لينظر ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾، وقال غيره: معنى ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ليتعبدني، وهو مجاز، والأصل في الابتلاء الاختبار، أي: ليختبرني أأشكر نعمته أم أكفرها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها، والشكر قيد النعمة الموجودة، وبه تنال النعمة المفقودة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ أي: عن الشكر، ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل)[1].

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠٦/١٣).



وأسلوب القصر في ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ فالأداة في هذا القصر هي (إنما) وهو قصر حقيقي، من قبيل قصر صفة نفع الشاكر لربه على نفسه، والمعنى: ومن شكر ربه على ما أولاه من نعمة فإنه لا يشكر إلا لمصلحة نفسه، إذ هو بشكره لا ينفع ربه بشيء ما، ومن كفر فعصى ربه فإنه لا يضر ربه بشيء؛ إذ هو غني كريم(١)، وهو إغراء للعباد بالمبادرة إلى شكر النعم.

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه، لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضاً منه لهم للنفع، لا لاجتلابٍ منه بشكرهم إياه نفعاً إلى نفسه، ولا دفع ضر عنها، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه)(٢).

وبعد هذا الاستطراد في الاعتراف بفضل الله تعالى عليه وشكره، وتحذير من كفر ذلك وأداء واجبه تجاه ربه بالوقوف على هذه القيم الإيمانية، أراد سليمان – عليه السلام – أن يختبر ذكاء الملكة وفطنتها بعد إحضار العرش بتلك الطريقة العجيبة، ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ

---

(١) ينظر: معارج التفكر، ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م (٢٢٣/٩، ٢٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٧٥/١٨).





أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: اجعلوه بحيث لا يعرف، ولا يكون ذلك إلا بتغييره عما كان عليه من الهيئة والشكل، ولعل المراد التغيير في الجملة. روي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك إنه كان بالزيادة فيه والنقص منه، وقيل: بنزع ما عليه من الجواهر، وقيل: بجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره[1]، فأمرهم بتغيير سريرها لاختبار عقلها، وجعل ذلك اختباراً لهدايتها بتلك المعجزة من تقدم عرشها، بعد أن خلفته وغلقت عليه الأبواب، ونصبت عليه الحراس[2]، وهذه المفاجأة الثانية لها، بعد مفاجأة إلقاء الكتاب.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١٩٤/٦)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ (٢٠٠/١٠، ٢٠١).

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٣٦٩/٣).



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الخامس:

حضور الملكة وإعلان إسلامها



قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٢ – ٤٤].

يكشف السياق القرآني عن سرعة مجيئها امتثالاً لأمر سليمان بما طواه من كيفية المجيء للانتقال إلى مشهد وصولها، وفي الكلام حذف، أي: (فنكروا لها عرشها وانظروا ما جوابها إذا سئلت عنه)، ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ والتعبير بالنظم البليغ من أداة الاستفهام وحرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة، دون أن يقال: (أهذا عرشك) لئلا يكون الكلام تلقينا لها بالجواب، ولما رأته على هيئة لا تعرفها فيه، وتميزت فيه أشياء من عرشها، لم تجزم بأنه هو، ولا نفته النفي البالغ،

بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ كأنه هو، وذلك من جودة ذهنها، حيث لم تجزم في الصورة المحتملة بأحد الجائزين من كونه إياه أو من كونه ليس إياه، وقابلت تشبيههم بتشبيهها[1].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – : (﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: عرض عليها عرشها، وقد غير ونكر، وزيد فيه ونقص منه، فكان

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٢٤٢/٨).

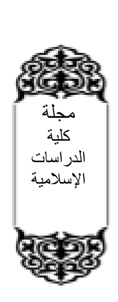
فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل ونكر، فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم)(١).

وقال عكرمة – رحمه الله – : (كانت حكيمة، قالت: إن قلت هو خشيت أن أكذب، وإن قلت لا خشيت أن أكذب، فقالت: كأنه هو)(٢).

قال أبو حيان الأندلسي – رحمه الله – : (والظاهر أن قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ إلى قوله: ﴿مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ ليس من كلام بلقيس، وإن كان متصلا بكلامها. فقيل: من كلام سليمان. وقيل: قال ذلك بما علمت هي وفهمت، ذكر هو نعمة الله عليه وعلى آبائه. انتهى ملخصا. وقال الزمخشري: وأوتينا العلم من كلام سليمان وملائه، فإن قلت: علام عطف هذا الكلام وبما اتصل؟ قلت: لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها، وأجابت بما أجابت به مقاما، أجرى فيه سليمان وملأه ما يناسب قولهم: وأوتينا العلم، نحو أن يقولوا عند قولها: كأنه هو، قد أصابت في جوابها، فطبقت المفصل، وهي عاقلة لبيبة، وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت)(٣).

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – : (﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ وأوتينا العلم من قبلها. قيل: هو من قول بلقيس، أي: أوتينا العلم بصحة نبوة

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٩٤).
(٢) تفسير القرطبي (٤/١٦٣).
(٣) البحر المحيط (٨/٢٤٢، ٢٤٣).



سليمان من قبل هذه الآية في العرش، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لأمره، وقيل: هو من قول سليمان، أي: أوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرة. وقيل: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها، وقيل: هو من كلام قوم سليمان، والقول الثاني: أرجح من سائر الأقوال)[1].

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – : (وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣﴾: هذا من تمام كلام سليمان – عليه السلام – في قول مجاهد، وسعيد بن جبير – رحمهما الله –، أي: قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، وهي كانت قد صدها، أي: منعها من عبادة الله وحده ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ وهذا الذي قاله مجاهد، وسعيد، والحسن، ثم قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ ضمير يعود إلى سليمان، أو إلى الله، عز وجل، تقديره: ومنعها ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: صدها عن عبادة غير الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾)[2] .

وجملة: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ استئناف بياني لتعليل سبب عبادتها للشمس من دون الله، وهو رسوخها في الكفر مع تأكيد ذلك بـ (إن)، وفي تكرار فعل الكون في قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ دلالة على شدة تمكنها من عبادة الشمس، وكان ذلك التمكن

(١) تفسير القرطبي (١٦٣/٤).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١٩٤/٦).



بسبب الانحدار من سلالة المشركين، فالشرك منطبع في نفسها بالوراثة، فالكفر قد أحاط بها بتغلغله في نفسها وبنشأتها عليه وبكونها بين قوم كافرين، فمن أين يخلص إليها الهدى والإيمان[1].

قال العلامة السعدي - رحمه الله -: (قال الله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل، ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون، فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر)[2].

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

بعد ذلك تأتي مفاجأة أخرى - يستعرض بها سليمان - عليه السلام - قدراته العلمية والإعجاز النبوي، مقابل التقدم الحضاري والإبداع الإنساني العادي الذي كان في اليمن في مملكة سبأ - لقد كانت المفاجأة قصراً من البلور (الزجاج)، أقيمت أرضيته فوق الماء، وظهر كأنه لجة (واللجة: الماء الجاري الذي يمكن السير فيه)، فلما قيل لها: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها؟ فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان - عليه السلام - عن سر ذلك الصرح،

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/٢٧٣، ٢٧٤).

(٢) تفسير السعدي (ص٦٠٥).





﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ ووقفت الملكة مفجوءة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تُعجِز البشر، وتدلُ على أن سليمان – عليه السلام – مسخرٌ له قوى أكبر من طاقة البشر، ويبدو من استعداد سليمان – عليه السلام – لإظهار مثل هذه المعجزات أنه قد وصل إلى علمه ما كانت عليه مملكة سبأ من التقدم الحضاري، إضافة إلى ما ذكره الهدهد، فأراد أن يستعرض ما هو أقوى مما عند الملكة، وهكذا يجب على المسلمين أن يكونوا رواداً مبدعين، حتى يمكنهم تقديم دعوة الإسلام للبشرية، والقرآن هو معجزتهم الكبرى، ومن أجل ذلك روج النصارى أن الإسلام هو سبب التخلف حتى يهونوا من شأن الإسلام حرباً عليه، وكرهاً له، وصداً للناس عنه وعن تدبر القرآن العظيم.

قال العلامة السعدي – رحمه الله –: (ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح، وهي المجلس المرتفع المتسع، وكان مجلساً من قوارير تجري تحته الأنهار، فـ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء؛ لأن القوارير شفافة، يرى الماء الذي تحتها كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء، ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ للخياضة وهذا أيضاً من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعدما رأت ما رأت.

فلما استعدت للخوض قيل لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ فلا حاجة منك لكشف الساقين، فحينئذ لما وصلت إلى سليمان

وشاهدت ما شاهدت وعلمت نبوته ورسالته، تابت ورجعت عن كفرها و ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾)[١].

فسليمان – عليه السلام – أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه[٢].

فهذه هي المفاجأة الثانية التي أعدها سليمان للملكة حال قدومها بعد مفاجأة العرش، والطريقة الفنية في عرض القصة القرآنية تقتضي أن السياق لم يمهد لها، ليكتم سر المفاجأة إلى حين وصول الملكة[٣].

وتأكيد الجملة بـ (إن) واسميتها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ لرفع توهمها أنها ستخوض في لجة الماء، وفي التصريح بذكر (صرح) ما يقوي ذلك المعنى، لما فيه من معنى التقرير ما يقوم مقام ضمير الفصل، إذ كان بالإمكان الاكتفاء بقوله: (إنه ممرد من قوارير)[٤].

ولما كشف عن سر المفاجأة العظيمة التي أبهرتها رجعت إلى الله تعالى، معترفة بظلمها لنفسها ومعلنة إسلامها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ ... الآية، وأكدت قولها بـ(إن) واسمية الجملة، لإثبات صدق إيمانها وإسلامها، بعد أن كانت كافرة من قوم كافرين يسجدون للشمس، ومثل هذا التحول الفاصل يحتاج إلى تأكيد، فجاء الكلام مطابقا لمقتضى الحال، وما يستدعيه المقام[٥].

---

(١) تفسير السعدي (ص٦٠٥، ٦٠٦).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١٩٤/٦).
(٣) ينظر: التصوير الفني في القرآن (ص١٨٧).
(٤) ينظر: معارج التفكر، ودقائق التدبر (٢١٦/٩).
(٥) ينظر: معارج التفكر، ودقائق التدبر (٢١٦/٩).

فضلاً عن تحسين الكلام بالمجانسة بين (أسلمت) و(سليمان) وهو ما يسمى بالجناس المغاير، وهو ما يشبه المشتق وليس به(١).

وفي التعبير بـ (مع سليمان) دون قولها (لسليمان) مع أنه أمر في كتابه إليها بـ ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ما يؤكد حقيقة إيمانها، وصدق إخلاصها لله تعالى، مع إقرار مبدأ المساواة، فعرفت أنها أسلمت لله تعالى، وليس لأحد من خلقه، مهما بلغ، ولو كان سليمان النبي – عليه السلام – صاحب المعجزات، فأيقنت أن الإسلام لله رب العالمين، وبمصاحبة المؤمنين والداعين إليه على سنة المساواة، فسجل السياق القرآني هذه الالتفاتة وأبرزها لبيان تلك القيم، وإخلاص العبودية لله، والتحرر من تبعية المغلوب للغالب، لتساويهم في حقيقة الخضوع تحت مظلة الإيمان.

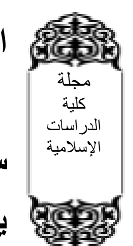
قال العلامة الشوكاني – رحمه الله – (﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بما كنت عليه من عبادة غيرك، وقيل: بالظن الذي توهمته في سليمان، لأنها توهمت أنه أراد تغريقها في اللجة، والأول أولى ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾متابعة له داخلة في دينه ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾التفتت من الخطاب إلى الغيبة، قيل: لإظهار معرفتها بالله، والأولى أنها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع الأسماء، ولكونه عَلَمًا للذات)(٢).

فالالتفات هنا من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب، لإبراز تلك الحقيقة الكبرى وأفرادها، وهي أن العبودية والاستسلام لله وحده لا لغيره،

---

(١) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، محمود بن سليمان الحلبي، المطبعة الوهبية بمصر، ١٢٩٨هـ - نسخة مصورة bdf على الانترنت - (ص ٤٦).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (١٦٤/٤).



وهذا الالتفات يظهر معرفتها بألوهيته تعالى، ولما في الاسم الشريف من الدلالة على جميع أسمائه، ولكونه عَلَمًا للذات الإلهية، وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع المخلوقات.

(فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم)(١).

وتقلد بلقيس للتوحيد كان في خاصة نفسها؛ لأنها دانت لله بذلك، إذ لم يثبت أن أهل سبأ انخلعوا عن عبادة الأصنام، وسكت القرآن عن بقية خبرها ورجوعها إلى بلادها، وللقصاصين أخبار لا تصح فهذا تمام القصة.

ومكان العبرة من القصة: الاتعاظ بحال هذه الملكة، إذ لم يصدها علو شأنها وعظمة سلطانها مع ما أوتيته من سلامة الفطرة وذكاء العقل عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد، وتوقن بفساد الشرك، وتعترف بالوحدانية لله، فما يكون إصرار المشركين على شركهم بعد أن جاءهم الهدي الإسلامي إلا لسخافة أحلامهم، أو لعمايتهم عن الحق وتمسكهم بالباطل، وتصلبهم فيه(٢).

(١) تفسير السعدي (ص٦٠٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٧/١٩).

الخاتمة



النتائج:

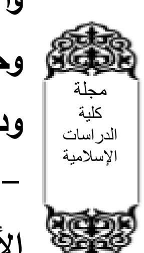
- القصة القرآنية هي الفضاء الرحب، والميدان الخصب للوقوف على البلاغة في القرآن؛ وذلك لما تمثله من صور متكاملة للنظم، تكشف عن علو بلاغتها واقتدارها على تصريف الأحداث والمشاهد وامتلاك زمامها، وتحريكها حسب مقتضيات الأحوال والمقامات.

- القصة القرآنية نابعة من تجارب إنسانية واقعية، تتخللها أحداث ومواقف ظاهرة وشعورية ونفسية، استطاعت البلاغة القرآنية نقلها وتصويرها تصويرًا حيا، كأنها ماثلة للعيان.

- القصة القرآنية تتوافق مع أغراض وأهداف القرآن الكريم، فهي من أساليب الدعوة المهمة؛ لأنها تعرض التجارب الواقعية القريبة من طبيعة النفس البشرية، بالطرائق الفنية التي تستمد قدرتها على التأثير من بلاغة القرآن المعجزة بدقة تعبيرها، وروعة تصويرها، وقوة تأثيرها في النفوس، لتحقيق أهدافها ومقاصدها، وترسيخ القضايا العقدية الرئيسة، كالتوحيد، والرسالة، والبعث، وبيان أن الدين كله من عند الله، على عهد جميع الأنبياء والمرسلين، وتسلية النبي الأمين عليه الصلاة والسلام.

- عظمة البلاغة القرآنية، وقدرتها التوصيلية على نقل المشاهد الحية وما يحيط بها من الظروف والملابسات بكل صدق وأمانة، من خلال توزيع القصص والحلقات والمشاهد والأحداث، وتلون طرائق العرض من حيث الإجمال والتفصيل، والإيجاز والإطناب، والابتداء والانتهاء، والانتقال بين القصص والمشاهد، وتنوع المفاجآت، ومراعاة أجواء السور والسياقات.





- الخصائص الفنية التي تفردت بها القصة القرآنية، كالإجمال والتفصيل، والاختزال والتكثيف، وتلون طرائق العرض، والفجوات الفنية بين المشاهد، وحسن الانتقال، ومراعاة السياق، والتناسق الفني، وإحداث المفاجآت، ودقة التصوير، وقوة التأثير.

- إن خضوع القصة القرآنية لتحقيق الأغراض الدينية اقتضى أن تعرض الأحداث والمشاهد بالقدر الذي يخدم الغرض، ويحقق العبرة من العرض، فبرزت الأساليب البلاغية لتقوم بدورها الفني في اختزال ما يمكن الاستغناء عنه، ولا يتعلق به كثير فائدة، أو حذفه كـ (الإيجاز بالحذف)، و(الايجاز بالقصر)، و(الاستئناف البياني)، فضلاً عن أثرها في استدعاء القارئ لملء تلك الفجوات التي تم فيها الحذف والاختزال، وإشراك وجدانه في تصور الأحداث.

- كل الذي سُخِّر لسليمان – عليه السلام – هو هبة من الله، ولم يكتسبه سليمان بجده وجهده، ومع ذلك فهذا المُلك لا يساوي شيئاً بالنسبة لملك الله العظيم.

- حسن التدرج في الإبلاغ، فقد تدرج الهدهدُ في تبليغ سليمانَ – عليه السلام – من الأصغر إلى الأكبر، من قيادة المرأة للرجال، إلى الشرك بالله، وهذا فيه حسن أدب وفطنة.

- هدف سليمان – عليه السلام – إقامة التوحيد، وإعلاء كلمة الله، وتحقيق عبوديته في الأرض.

- كتاب سليمان – عليه السلام – لبلقيس قال (إنه من سليمان)، فمع كونه ملك لم يذكر مدحاً له قبل الاسم أو بعد الاسم، وهذا من كمال تواضعه.



– فعل سليمان في تفقده للطير يدل على تفقده أحوال الرعية، والمحافظة عليهم، فانظروا إلى الهدهد وإلى صغره، ومع هذا لم يغب عنه حاله، فكيف بعظائم الملك؟!.

– وعي ملكة سبأ للأمور السياسية، وطبيعة حكم الملوك، ما ملكته ملكة سبأ من قدرة التمييز بين النبي المرسل من الله، وبين غيره من ملوك الدنيا.

– أهمية الهدية، وأثرها في تليين القلوب، وتحقيق الود، وقد تفلح في دفع أمور لا تحمد عقباها.

التوصيات:

– أوصي بضرورة الوقوف على ما صح من قصص الأنبياء، وتأمل وتدبر بلاغة القصة القرآنية، لاستخراج الدروس والعبر التي تعين المسلمين للوصول إلى أعلى المراتب في أمر دينهم ودنياهم.

– إذا كان الأمر يمس العقيدة فإنه ينبغي فيه الحزم وعدم التهاون أو المداهنة أو الحلول الوسط.

– وجوب التثبت وعدم التسرع في العقوبة حتى يتبين الأمر.

– ينبغي على ولاة الأمور والمسؤولين في كل موقع: عدم الاستبداد بالرأي، والعمل بمبدأ الشورى في اتخاذ القرارات، والسماع لكافة الآراء قبل اتخاذ أي قرار.

– عدم الاستهانة بآراء الآخرين مهما كانت منزلتهم، فقد يأتي الرأي الأصوب والأخير ممن لا يتوقع منه ذلك.

– على الإمام قبول العذر من آحاد رعيته، ودرء العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم.


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

١. الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان مع ملكة سبأ، فايز صالح الخطيب، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، المجلد (١٦) العدد (١) ،٢٠٠١م .

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ .

٤. البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٥. التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، ١٩٨٤م، ط الدار التونسية للنشر، تونس.

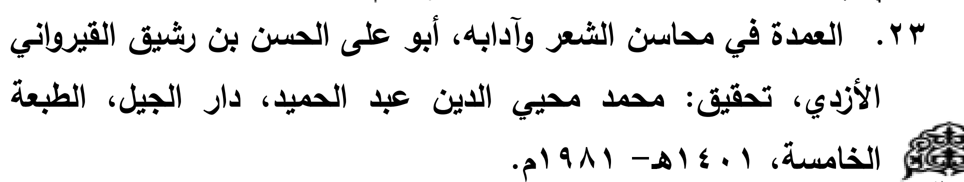
٦. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، الناشر: دار الشروق، مصر، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٧. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص٤٦).

٨. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١٠. تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١١. تلخيص البيان في مجازات القران، تأليف: الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: الدكتور علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.
١٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٥. حسن التوسل إلى صناعة الترسل، محمود بن سليمان الحلبي، المطبعة الوهبية بمصر، ١٢٩٨هـ – نسخة مصورة bdf على الانترنت.
١٦. الخطاب القرآني، سليمان عشراني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الجزائر، ١٩٩٨ م.
١٧. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٩. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
٢٠. السيرة النبوية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.
٢١. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ– ١٩٥٥م.
٢٢. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.





٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٥. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

٢٦. القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ، للباحث : زكريا على محمود الخضر، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، العدد ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٧. كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢٨. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ.

٣١. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.



٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٣. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٤. المرأة في القصص القرآني، الدكتور أحمد الشرقاوي، دار السلام، الطبعة الثالثة، ٢٠١١م – ١٤٣٢هـ .

٣٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧. معارج التفكر، ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.



٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

